قصة (داما – دامي – دامو) للكاتب محمد خضير

((دراسة سيميائية))

(Dama - Dami - Damo) by Muhammad Khudair (semiotic study)

م. زيد وفاق شاكر [1]

Lect. Zayd Wifaq Shakir

الخُلاصة

لم تعد الرحلة داخل الفضاء الكتابة السردية والخوض في غمارها مجرد فعل سرد ينبني على ظروف محددة ومألوفة خاضعة لتأثيرات سايكولوجية واجتماعية ، وسياسية محاطة بوابل من النمطية والرتابة سواء أكانت من ناحية المتن أو المبنى ، فالانفتاح على معطيات الحضارة ومنجزاتها الفكرية أحدث حراكاً عاماً يميل نحو التجديد في الرؤية موظفاً بذلك كل الأدوات التعبيرية الهائلة التي تتيحها اللغة ، وهذا ما دعت إليه البنيوية التكونية بإعادة علاقة النص بالخارج بوصفه أحد المرتكزات المهمة في كشف البنى الدلالية للنص الأدبي ، واعتمدنا في بحثنا على المنهج السيميائي مفتاحاً للولوج إلى عنوان وبنية النص إن الانفتاح على معطيات الحضارة ومنجزاتها الفكرية أحدث حراكاً أدبياً عارماً يميل نحو نزعة التجديد في الرؤية والهدف ضمن إطار النسق الكلي للخطاب موظفاً بذلك الأدوات التعبيرية التي تتيحها اللغة ، فضلاً عن ذلك إننا نعيش في عصر باتت تحكمه الصورة وتؤثر بأبنائه إلى حد غير معقول ، وبهذا تنهد فيهم الكثير من الثوابت ، وتتعرض العديد من القناعات إلى الزوال ، هذا كله فتح آفاقاً جديدة سمحت بتداخل

١- جامعة كربلاء – zaid.w@uokerbala.edu.iq

الفنون ، وتأثر أحدهما بالآخر فالروائي بات لا يكتفي بالتجريب وإنما يتجاوزه غلى مديات أوسع من ذلك منها : بلبلة البناء السردي وتوظيف النص الشعري بإمكاناته وإعادة البناء السيناريستي للنص وإخراجه عن سيطرة الكاتب وانفتاح النص على كل إمكانات الاختراق الميتاسردي وتظمينه إمكانيات سمعية وبصرية تتيحها مرونة اللغة التي يطوعها صاحبها وهنا يخرج من الرواية إلى اللارواية ومن المألوف إلى اللامألوف الملغز والملغم غير المحتمل فيأتي نسق النص المنتج حديثاً عبر شبكات دلالية غائمة ومشعة في آن واحد وبهذا تتجه القصة العراقية ومنها قصة : (داما– دامي– دامو) لمحمد خضير نحو خصوصية خطابها ومنطق سردها .

الكلمات المفتاحية: داما، دامي، دامو، السيميائية، المكان، محمد خضير

Abstract

The journey inside the space of narrative writing and delving into it is no longer just an act of narration based on specific and familiar circumstances subject to psychological, social, and political influences surrounded by a barrage of stereotyping and monotony, whether in terms of text or building. The vision employs all the tremendous expressive tools offered by the language, and this is what the structural structuralism called for restoring the relationship of the text with the outside as one of the important foundations in revealing the semantic structures of the literary text. He created a massive literary movement that tends towards the trend of renewal in vision and goal within the framework of the overall system of discourse, employing all the expressive tools that language provides, in addition to that, we live in an era that is governed by the image and affects its children to an unreasonable extent, and thus many of the constants sigh in them, and are exposed to Many convictions vanish. All this opened new horizons that allowed the arts to overlap, and one of them was affected by the other. Audio-visual provided by the flexibility of the language that its owner adapts, and here he departs from the novel to the non-fiction and from the familiar to the unfamiliar, enigmatic and improbable amalgam. The newly produced text format comes through semantic networks that are cloudy and radiant at the same time. Thus, the Iraqi story is directed, including the story (Dama - Dami - Damo) by Muhammad Khudair Towards the privacy of her speech and the logic of her narration.

Keywords: Dama, Dami, Damo, Semiotics, the place, Muhammed Kudheir

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الذي عَلاَ بِحَولِهِ ، ودَنَا بِطَوْلِهِ ،مانِحِ كلِّ غَنيمَة وفَضْل، و كاشِفَ كلِّ عظيمَة وأَزْل،أَحْمَدُهُ على عَواطِفَ كَرَمِهِ، وَسَوابِغَ نِعَمِهِ ،وأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بادِياً،وأَسْتَهْديهِ قريبًا هادِيًا، وأَسْتَعينُهُ قاهِراً قادِرًا، وأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كافِيًا ناصِرًا، والصلاة والسلام على خيْرِ خَلْقِهِ أَبي القاسِم محمد (ﷺ) وآلِهِ الطيّبينَ الطّاهرين.

أما بعد :

تقدمت القصة القصيرة في العصر الحديث تقدماً عظيماً وتنوعت أساليبها فمن هذه الأساليب تداخلها والأنواع الأدبية والفنون البصرية ، وقد أخذت القصة تقتبس من بعض الفنون أساليب فنية تساندها فير عملية البناء القصصي وتدفع بها الإبداع ، وتضمن لها حضورها وتنوعها ، ومن ذلك استخدام أسلوب الحوار المسرحي والفنون البصرية إلخ ... ، وقصة (داما – دامي – دامو) خير مثال على ذلك حيث استفاد كاتبها من اللغة السينمائية وامتطى صهوة الخيال ليصل إلى جسر الواقع الذي تغرزه القصة عبر تشكلاتها وبناها الداخلية ، ولهذا أو من هذا المنطلق ستتخذ من المنهج السيميائي مفتاحاً للولوج إلى عنوان وبنية النص لرصد تشكلاته الميتاسردية والإطاحة ببؤره الثقافية الخاملة عبر رموز وعلامات أكسبت النص حمولة دلالية عبر عدة محاور حيث تناولت اولا (السيمياء وترميز المكان) وتناولنا (السيميائية وترميز المكان) وبعدها تناولت (المرجعيات الثقافية وآليات اشتغالها داخل المتن سيميائياً) وبعدها (سيميائية الشخصيات داخل المتن الحكائي) ومن ثم الخاتمة وقائمة المصادر

الحمد لله على توفيقنا بإنجاز هذا البحث

أولاً : السيمياء وترميز المكان

تناولنا العنوان بوصفه ظاهرة جمالية تتسم بالقصدية والتواصلية وما تحتمه هذه السمة على المتلقي من تحفيز ثقافته في فك مغاليق العنوان وإنتاج دلالته ، وظاهرة لغوية ينطبق عليها ما ينطبق على الحدث اللغوي أياً كان نوعه من إمكان وظيفي مع الأخذ بالاعتبار الوظائف النوعية للعنوان التي تخصه كنوع لغوي له خصوصيته الوظيفية كما سنتناوله في إطار كونه حدثاً لغوياً وفنياً في آنٍ معاً وما يترتب على ذلك من إمكان تحفيز استجابة المتلقي بوصف العنوان:(مقطع لغوي أقل من الجملة أو عملاً فنياً) [٢]، ويعرفه : (ليوهوك) تعريفاً وظيفياً ذاهباً إلى أن : (العنوان مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده وتدل على محتواه وتغري الجمهور المقصود بالقراءة) [٣].

٢ – معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، عرض وتقديم وترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الدار البيضاء : ١٥٥ .

٣ – شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الغارياق ، الهادي المطوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨ ، عدد ١ ، ١٩٩٩م : ٤٥٦ .

ويميز (معجم المصطلحات الأدبية) بين نوعين من العناوين هما : (العنوان السياقي) الذي يكون : (وحدة مع العمل على المستوى السيميائي ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة) [٤] ، و(العنوان المسمّي) الذي يستعمل في استغلال عن العمل لتسويته والتفوق عليه سيميائياً [٥] .

ويرتبط الفهم العام للعنوان بكونه: (مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعديه الدلالي والرمزي) [٦] إذ تشكل العناوين عامة سواء أكانت عناوين المؤلفات علمية أو لنصوص إبداعية أو عناوين لأي نشاط إنساني ، بنى حاملة لدلالة قصوى تقوم على تكثيف دلالة المعنون [٧] ، فالعنوان في العصر الحديث قد شرع بفعل التطور التاريخي يشهد تحولاً على مستوى بنائه ووظائفه بشكل ملفت للنظر [٨] .

بحيث بدأ يشكل العنوان مع نصه (بنية معادلية كبرى طرفاها العنوان ، النص ، وربما شكل بنية رحمية تولد معظم دلالات النص) [٩] ، آخذاً بذلك مكانة هامة فيما اصطلح عليه :(جيرار جينيت) بـ (النص الموازي) فقد بات معروفاً اليوم مع النقد الحديث (ومنذ نشأة الشكلية والبنيوية وخصوصاً علم العلامات أن تحليل العنوان له أهمية كبيرة من حيث هو نص صغير يضم وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص كبير ، وكثيراً مايشبهونه بالجسد رأسه هو العنوان) [١٠] .

وهنا يعني أن العنوان بدأ يستقل عما يعنون على المستوى الوظيفي ، ويسعى إلى أن يضاهي نصه أو يشاكله من حيث اعتماد الجمالية في البناء والدلالة ولهذا تتبنى المناهج النصية بما فيها المنهج السيميائي في تحليلها للظاهرة اللغوية التركيز على بنية هذه الظاهرة انطلاقاً من عدها بنية قائمة بذاتها يجب أن تخضع في تحليلها لقانون العلاقات الداخلية .

وفضلاً عن ذلك أن العنوان كبنية سيميائية لابد له من مراعاة دلالة النص المعنون خاصةً وأنه _ أي العنوان _ يراد له أن يؤلف : (على مستوى التعبير مقطعاً لغوياً يعلو النص تتحكم به قواعد سيميائية تعمل على بلورة موضوعاته وتحديد رؤيتها وترميز دلالتها في مفردة أو عبارة ذات أجزاء (ألفاظ مفردة) تتعاقب لأداء وظيفة تأسيس أو وجهة نظر من التركيب العام للنص السردي (القصصي) [١١] .

---

٤ – معجم المصطلحات الأدبية : ١٥٥ .

٥ – المصدر نفسه : ١٥٥ .

٦ – خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم ، عبد الرحمن طنكول ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، عدد ٩ ، ١٩٨٧م : ١٣٥ .

٧ – ينظر : النص وأبعاده ، قراءة في رواية كف مريم لعبد القادر عقيل ، حميد اجماع ، مجلة البحرين الثقافية ، عدد ٢٠ ، ١٩٩٩م : ٢٠ .

٨ – ينظر : شعرية عنون كتاب الساق على الساق في ماهو الفارياق : ٤٥٧ .

٩ – السيموطيقيا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٥ ع ٣ ، ١٩٩٧م : ١٠٢ .

١٠ – شعرية عنوان كتاب الساق على الساق : ٤٥٦ .

١١ – ينظر : ثريا النص مدخل إلى دراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٣٩٦ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٥ : ١٠ .

* (داما – دامي – دامو) [١٢] .

هو عنوان النص القصصي في مجموعة الشاعر محمد خضير (رؤيا خريف) إذ جاء هذا النص القصصي عابراً للواقع ومتخذاً من الخيال والرمز أداة لرصد عمق الواقع إذ يؤشر هذا العنوان تقنية غير معهودة في طريقة الصياغة العنوانية ، وذلك بتركيب عنوان القصة من ثلاثة دوال مفصولة بالفاصلتين (،) التي تدل هنا على استغلال كل دالة عن التي تليها على مستوى البنية السطحية للعنوان فالدوال (**داما ، دامي ، دامو**) تتحرك قرائياً بصورة تتابعية وكأنها جراء تركيبها بهذه الصورة يراد لها أن تكون إشارات مباشرة تحيل إلى مراجعها خاصة وأن غياب الرابط النحوي عن هذه التركيبة العنوانية لا يترك لها إمكان الاعتماد على الجانب التركيبي في نتاج دلالتها الأمر الذي يمكن معه خطوة أولى اعتبار العنوان ثلاثة عناوين منعزلة ينفرد كل منها بطريقة خاصة في إنتاج دلالته في ضوء المتن القصصي وهذا ما توحي به الفارزتان الفاصلتان بين الدوال الثلاث كبديل رابط جاء تعويضاً واستبعاداً للرابط النحوي ، وقبل الشروع في استنطاق المكنونات السردية للمتن القصصي للوقوف عليه من معطيات دلالية سيميائية يشف عنها التركيب العنواني بهذه الطريقة , ويجدر الالتفات إلى الجانب الصرفي الذي تأسست عليه دوال العنوان:

١- داما : اسم (دام) + حرف العلة الألف .

٢- دامي : اسم فاعل من دَمَي + دَامَ + حرف العلة الياء .

٣- دامو : اسم ، دَامَ + حرف العلة الواو .

إن استنطاق المبنى الحكائي بشأن حضور دوال العنوان فيه يؤشر إلى :

أولاً : حضور دالة (داما) وهي لعبة من شخصين تجري على لوحة بها مربعات بيضاء وسوداء وحجارة مقرونة بـ (الدالة) (الجنس الثالث) ويبدأ محمد خضير بوصف اللعبة : (لعبة الصمت لعبة الحوار الأخرس ، الداما تعلمت اللعبة في السجن واعتقد أن كل بصرياتي من الجنس الأول يتقن هذه اللعبة ، في حين أن االجنس الثاني مشغوفٌ بلعبة الدامي ، أما لعبة الدامو فلا يتقنها إلا قلائل من البصريائيين من الجنس الثالث) [١٣] .... إلخ .

وتحضر دالة (داما) المكان غير الاليف مقرونةً بالسجن بوصفه مكاناً للتوتر والضياع وهذا يدل على مهارة استخدام اللغة السردية المكثفة المشعة بالإيحاءات والدلالات والرموز متنوعة المستويات والتشكيلات التي تحمل وحدة الانطباع بالنص كله .

١٢ – رؤيا خريف ، مجموعة قصصية ، محمد خضير ، دار الأزمنة للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٩٥م : ٦١ .

١٣ – رؤيا خريف ، محمد خضير : ٦١ .

فبنية عنوان القصة (داما ، دامي ، دامو) وانتهاء كل اسم من العنوان بحرف من حروف العلة يوجه القدرة السيميائية على تحويل اللعبة الشعبية الشائعة في المقاهي (أي الأمكنة المفتوحة) إلى تراتب ذهني وفكري وقراءة عميقة تنقل اللعبة إلى (السجن) المكان المعتم (الفارغ) عن طريق تصادم الأفكار وإحالتها المستقبلية حيث إنها تتطلب معرفة بقوانين اللعبة ، وجاءت هنا مزدوجة اللعبة الحقيقية ولعبة الكتابة .

وقد حضرت دالة (**داما**) مع أكثر من لازمة داخل بنية القصة :

١– تستطيع أن تلعب الداما بمفردك [١٤] .

٢– كل انتقالة في حجر الداما تشكل وضعيته [١٥] .

٣– هناك قواعد مشتركة للداما [١٦] .

٤– تلك هي الداما التي تأخذ من الوقت ربيع حياتك المزهر [١٧] .

وعند رصد هذه البنيات وتتبع إشاراتها أنها تدل على وضعيات استباق للعبة محددة بقواعد وكأن الراوي هنا يشير إلى السلطة أو الحرب والسجون والقمع وذلك لارتباط لفظة دامي في العنوان بدالة نصية أخرى تدلل مانراه ، فالدامي هو اسم فاعل تعني دامي الشفتين خرج الدم منه ولم يسيل بقوله : (افتتحت دورها الثاني الحاسم بكلمة مداد وأجبتها بأحجار الدم كان افتتاحي اختراقاً موجعاً اهتزت له أوتار كفيها وسرعان ما انهارت الفتاة مع تسع وضعيات ....) [١٨] .

ويمكننا إنتاج دلالة العنوان لتسويغ بنائها بهذا الشكل (داما – دامي – دامو) في ضوء تلك المعطيات كما يأتي :

داما	لعبة شعبية هي تحويل اللعبة إلى تراتب ذهني عبر تصادم الأفكار وإحالتها المستقبلية حيث تتطلب معرفة بقوانين اللعبة
دامي	لعبة الجنس الثاني (مكان) للتصارع الفكري والنقلات الزمكانية
دامو	ملاذ للتخلص من العزلة (عزلة الجنس الثالث)

على ذلك فإن صيغة المفرد (داما) التي جاءت بها الدالة العنوانية تؤشر سيميائياً إلى إكثار مواطن العزلة لتقيد بقوانين اللعبة على مستوى جميع الأجناس المذكورة في القصة والتي دائماً ماتحتاج إلى خلق خصم داخل السجن (خصم خيالي) ، وهنا يمكن تسميتها بـ (الفجوة) بين الواقع (السجن) وبين

١٤ – المجموعة القصصية : ٦٢ .
١٥ – المصدر نفسه : ٦٢ .
١٦ – المجموعة القصصية : ٦٢ .
١٧ – المصدر نفسه : ٦٢ .
١٨ – المصدر نفسه : ٦٢ .

الخيال الخصم في اللعبة تارةً يكون (الصبي ذو العشرة أعوام) ، وتارةً أخرى الفتاة (الجنس الثالث) التي سرعان ماتتحول إلى مايسميه الجنس النادر بينما يأتي دال (دامي) (دامو) ليعني كبر الهوة وثقل المنبئ على الذات (الراوي) في تطلعها ومغامراتها داخل قواعد اللعبة ، ونهمها الدائم للفوز على فتاة الجنس الثالث عبر إقامة علاقة روحية وفكرية ولعل ذلك مايفسر ترتيب الدوال في العنوان فالذات التي يفرض عليها (السجن) عزلة تلغي لديها الزمان والمكان ستفكر في الملاذ أولاً الذي يخرجها من هذه العزلة فتلجأ إلى (اللعبة) قبل تفكيرها في الحواجز وشروط اللعبة التي قد تعترضها في سعيها إلى الانعتاق من قيود السجن .

فالكاتب محمد خضير جعل اللعبة على مستويين مستوى اللعبة الحقيقية، ومستوى اللعبة الكتابية كما يوضحها :

ثانياً : السيميائية وترميز المكان :

ترتبط السيميائية بالدلالة وهو رأي اتفق عليه كل من : (أمبرتو إيكو ، ورولان بارت) فقد أكدا أن السيميائية لايتصور وجودها من دون الدلالة فهي تهتم بطريقة استخراج المعنى من العلامات [١٩]، ويشير سعد بنكراد أيضاً إلى العلاقات الدلالية التي تهتم بها السيميائية فهو يرى أن : (السيميائية هي كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة : أنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتوازي والمقنع ، لامجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكنونات المتن) [٢٠] .

فهي إذن تسلط الضوء على سلسلة العلاقات التي يتضمنها النص ، فهي بذلك تحقق وظيفة التواصل من خلال ما تسهم به من كشف عن (الشفرات والقواعد والقيود المستترة المسؤولة عن إنتاج المعنى في كل ثغرة) [٢١] .

ويعتمد القاص العراقي (محمد خضير) في قصته : (داما – دامي – دامو) على الخيال والذاكرة الثقافية للشخصية في رسم الأبعاد المكانية والتي تشكل سلسلة من العلاقات والإشارات والرموز التي تسعى السيميائية إلى اكتشافها ، وتقريب الدلالة إلى المتلقي فتتجسد أحداث القصة عن لعبة (الداما) وهي لعبة شعبية تتطلب لاعبين على رقعة مربعة ذات مربعات بيضاء وسوداء مع حجارة يتحكم بها الخصمان ، ويحركانها حسب قواعد اللعبة فتصبح ذاكرة الراوي هي الشاهد الذي يتبنى في عين الكاميرا

١٩ – دليل الناقد الأدبي ، سعد البازعي وميجان الرويلي ، المركز الثقافي في العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٢م : ١٨٧ .

٢٠ – السيميائيات مفاهيمها وتطبيقها سعيد بنكراد ، دار الحرية ، اللاذقية ، سوريا ، ط٢٠٠٥م : ١٥ .

٢١ – موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ، ناظم عبد الواحد الجسور ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٣٤٠ .

، وتوظيف التوليف لشرح قواعد اللعبة والدخول في كل لعبة ومنازلة كل جنس حسب إمكانيات واشتراطات تضعها قواعد اللعبة إذ نجد ثلاثة أجناس : (الراوي ، الذكر ، الفتاة ، (الجنس الثالث – الصبي) نتاج الجنسين.

والمكان كما هو واضح لنا في قصة (داما – دامي – دامو) له عدة أشكال من حيث ارتباطه بالجانب السياسي والاجتماعي والنفسي والآيدلوجي وهو كالآتي :

١– المكان السلطة :

تنقل لنا قصة (داما – دامي – دامو) عن طريق أنظمتها النصية وإشاراتها السيميائية مجموعة من الأحداث الخيالية التي لا تنفصل عن الواقع بل تضيء الواقع بعدسة الخيال واللا ممكن والمحال عبر ممارسة سردية قائمة على اللعبة ، وحسب رؤيتنا وقراءتنا للحكاية نجد أنها قدمت اشارة سيميائية تشير الى النظام السابق والتي قد يجد له البعض أو لم يعهده (صدام حسين) ، قدمها لنا الكاتب بأسلوبٍ لغويٍ مكثف وذكي جداً عن طريق وصف الواقع بصورة غير مباشرة بأنه كلعبة الداما هنالك لاعبان يحركان اللعبة وهنالك وجهان أو مربعات بيضاء وسوداء ، فيحرك اللاعب الحجارة حسب شروط وقواعد اللعبة وهذه القواعد والتنقلات السردية ماهي إلا انعكاسات للواقع السياسي والاجتماعي الذي امتاز بالقهر والحرمان والتغيب في السجون خاصة مدن الجنوب وفيها (بصرياثا) البصرة قديماً والمتمثل بسلب إرادة الإنسان وتقيد حريته في العمل والسلوك والتعبير .

وتحاول القصة أن تجعلنا أمام قناعة أن السلطة هي القادرة على فرض إرادتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ووصفها بالنقلات داخل رقعة (الداما) اللعبة الشعبية التي جعلها تأخذ بعداً آخر داخل المخيال السردي :

(لعبة الصمت الأخرس ، لعبة الحوار الأخرس ، الداما ، تعلمت اللعبة في السجن ، وأعتقد أن كل بصرياتي من الجنس الصثاني مشغوفٌ بلعبة الدامي) [٢٢] .

فالسجن هنا هو العتمة الفراغ (**العزلة**) عن العالم وسلب للإرادة ، وتكميم للأفواه ، فجاءت لازمة السجن مقرونة بلازمة أخرى تدعم مانراه وهي لعبة الصمت ، لعبة الحوار الأخرس .

٢٢ – المجموعة القصصية ، رؤيا خريف : ٦١ .

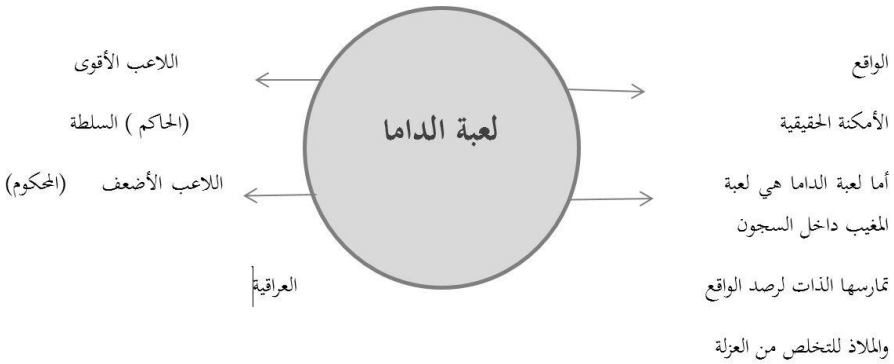

فدلالة السجن سيميائياً تأخذ أبعاداً أخرى كونه يحمل دلالة سوداوية لما يحمله المكان من عزلة وصمت رهيب فيصبح اللسان هو الفاعل في تقرير مصير الإنسان في واقعنا ، أما أن تتحدث عن السلطة وتكتب عليك التقارير وتزج في غياهب السجون ، وإما أن تتحايل على السلطة فيكون مرحب بك .... وهذا يعكس نفور الشخصية من مكانها ومحاولتها البحث عن بديل آخر للهروب من العزلة فتكون لعبة الداما هي الخلاص من هيمنة السلطة على الشخصية الواعية في المجتمع حيث تتلاشى ويهيمن عليها إلى فعل وممارسة مباشرة داخل اللعبة : (نستطيع بالعبارات التي نشنقها من الوضعيات أن تطيح بمملكة سبأ أو أن تفوز بعروس البحر ، أو أن تدفع شريك لك إلى حلبة صراع الديكة) [٢٣] .

ومن ثم أن ممارسة لعبة الداما من الشخصية تجعلها تعود (فلاش باك) إلى استرجاع أمكنتها القديمة المألوفة في البصرة : (غادرت منزلي في الجزء القديم من المدينة ، انتظرت في موقف العربات ..... في طريقي إلى نادي الداما الواقع عبر النهر الذي يقسم المدينة إلى قسمين ، أتحدث هنا عن السنوات تحتوي كابينة الموقف على صندوق بريد وجهاز هاتف ولعبة داما كبيرة) [٢٤] .

فهو يذكر أمكنة مألوفة (منزلي ، المدينة ، موقف العربات ، طريق النهر ، كابينة الموقف ، صندوق البريد) .

لكن الراوي سرعان ما ينصدم بالواقع الذي يسلب الإرادة ويعود إلى جدران السجن والقيود :

(لكن المطاردة لن تتوقف كما أحسب فبجاذبية الهاوية أقوى من سرور الغنى والرفاه والهناء .... قد تكون ألعاب الطريق هذه ممارسات أشباح مسافرة تطول وضعياتها أو تنقطع ، أو هي تمارين أجناس خليطة تدرك أن الالتقاء بينهما إلا بالرسائل السرية) [٢٥]..... (تلفت حولي الشارع النظيف الواسع

٢٣ – المجموعة القصصية : ٦٣ .
٢٤ – المصدر نفسه : ٦٣ .
٢٥ – المجموعة القصصية : ٦٤ .

إذ سمعت حوافر الخيول .... إلخ) [٢٦] ، فكل مدلولات الأمكنة هي دلالات على تربص السلطة بالشخصيات .

٢- أمكنة الوهم (الملاذ) :

يشكل المكان في قصة (داما - دامي – دامو) في بعض المواضع معادلاً رمزياً للشخصية فبعد خروج الشخصية من عالم الواقع واللوذ بعالم خيالي مختلفة لنفسها خوفاً من التلاشي ، يمنحها الإصرار إلى بناء ذات إيجابية تمارس ماتحب مع من تحب :

(اقترحت على شريكتي بعد نقلة جزئية مني تمضية النهار في (حديقة الأذكياء) عند الجزء القديم من المدينة هناك أردت المواصلة الحميمية بعيداًعن ميدان الرفقة على العشب ، وبين الخمائل عبرت بنا عربة الخيول (قنطرة الحرب) إحدى القناطر التي تربط صوبي المدينة التقتا العربة في بوابة الحديقة الكبرى والأسرة الحجرية المنصوبة بين الخمائل والكهوف المطمورة بالأعشاب توغلنا بين ممرات الأنهار والأشجار وأحواض الزهور ، وبرك النافورات ...) [٢٧] ، (كلانا لايجهل مواقع سجون بصرياثا المدفونة تحت الحديقة) [٢٨] ، (دربتني أمي طوال سنوات كي أتغلب عليك ، ولدت في السجن ، وحين بلغت العاشرة أطلق سراحي لكي أقابلك .... إلخ) [٢٩] .

فالسجن هنا المربع الأكبر الذي تعيش فيه الشخصية عزلتها التامة مادفعها لممارسة لعبة الداما ، وخلق عالم خيالي يكون الملاذ من هذه العزلة ، فتحولات الدلالة المكانية هي أشبه بالصدمة الثقافية ، وهي ببساطة حصول تخلخل وتشويش على عدد من الجوانب التي تحملها الذات ، والتي تمثل بيئتها ثقافتها .

ثالثاً : المرجعيات الثقافية وآليات اشتغالها داخل المتن سيميائياً :

يعد الموروث الثقافي والغني مصدراً مهماً من مصادر الوعي التاريخي لأنه يجسد تجارب ومواقف إنسانية مهمة وتعدم انعكاسات لواقع الحياة الماضية وتعدد وجودها ، فضلاً كونه يمثل رصيداً فنياً وفكرياً لايستهان به للإنسان على نحوٍ عام ، وللأديب الفنان على نحوٍ خاص فهو حصيلة أحداث تمثلت في أعمال فنية وأدبية يتلقاها مبدع ليتفاعل معها تفاعلاً خلافاً جديداً ويصبها في أطر ومضامين مستحدثة موسعاً من خلالها دلالات النص بكل مايستوعبه أو يشير من تساؤلات ...

٢٦ - المصدر نفسه : ٦٤ .
٢٧ - المصدر نفسه : ٦٧ .
٢٨ - المصدر نفسه : ٦٤ .
٢٩ - المصدر نفسه : ٧٦ .

ومن الظواهر التي تلفت الانتباه هي لغة التشكيل السردي لغوياً حيث يتأثر بمعطيات الموروث وذلك لما يشكله من : (خلفية هامة وثرية بالتجارب والخبرات والقيم والدلالات ولايعقل تصور أي فنٌ من الفنون من دون أن تكون وراء خلفيات الموروث ودلالته) [٣٠] .

ويعد اشتغال الموروث وتجسيد أسماء شخصيات معروفة جزءاً من قابلية قصة (داما – دامي – دامو) لمحمد خضير على الانفتاح فهي تجسد وتصور وتسجل القدرة على الإيحاء وهي بهذا تحقق قصد الإفادة من الموروث فتجتاز الأنظمة النصية للقصة مناطق اشتغالها لتمثل ملامح فنية وأدبية أخرى مستوعبة شكلها ولغتها ورؤاها ونجد الموروث يتجسد في القصة : (تستطيع بالعبارات التي تشتقها أن تطيح بمملكة سبأ) [٣١] ، وهي دلالة على المخبر الذي يكتب التقارير للسلطة ويشيء بأبناء جلدته وهي تناص مع قوله تعالى ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [*] [٣٢] ، أو قوله يتناص مع لقمان الحكيم : (فقد لاتخطو إلا جزءاً من خطوة نملة من نملات لقمان) [٣٣] ، أو يتناص مع شخصيات أدبية وثقافية معروفة : (توقع أن تظهر أمامك في الرفعة أسماء (رابعة العدوية) ، (مارلين مونرو) ، (محمد أحمد السيد) [٣٤] .

وكذلك في لفظة مداد يتناص مع الموروث البغدادي :

(افتحت دورها الثاني بكلمة (مداد) وأجبتها بأحجار الدم) [٣٥] ، وكلها دلالات ترميز إلى السلطة ، أو استخدامه لفظة آدم تناصاً مع الخطيئة وبداية الخلق : (الأجناس البصريائية كلها مشتركة هي استعمالها افتتاحية آدم التي تذكرها بأبيها المهاجر) [٣٦] .

أيضاً التناص مع قصة يوسف : (اقترحت على منافسي دست (البقرات السبع العجفاوات) [٣٧] وتناص أن الواشي بك هو أبناء جلدتك أو هو من لحمك ودمك هو يلغي بك في السجون تحت الأرض كما فعل أخوة يوسف حين القوة في الجب :

---

٣٠ – تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. علي عباس علوان ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٥م : ٥٩ .
٣١ – المجموعة القصصية : ٦٢ .
* – سورة النمل : ٢٢ .
٣٢ – المجموعة القصصية : ٦٢ .
٣٣ – المصدر نفسه : ٦٢ .
٣٤ – المصدر نفسه : ٦٢ .
٣٥ – المصدر نفسه : ٦٦ .
٣٦ – المصدر نفسه : ٦٧ .
٣٧ – المجموعة القصصية : ٦٧ .

(استأنفت هي اللعبة لعبة بعد لعبة نخسرها نشعر أننا تقدمنا مئة عام إلى أمام إلى الجب الذي خرجنا منه والذي سيسجننا بعد عودتنا إليه أنه هنا تحت أقدام سريرنا) [٣٨] ، (قلت سمعت عن هذا الجب ولكنك لستِ مذنبة كي تعودي نفسك إلى هناك .....) [٣٩] .

وهنا تعود الشخصية (الراوي) عطا الأشواق يصطدم بجدار الواقع : (لقد اخترت اللعبة اللبابنا احترقت جسورنا ، محت أسماءنا ... استعبدتنا اللعبة ليسسستتت خلاصنا الأحجار هناك شهد لسجنا تحطم عظامنا تمتص عصير شبابنا) [٤٠] .

يصف حال المغيبين في قعر السجون والذي يعتصر الموت شبابهم تحت الأرض في الظلام

رابعاً : سيمياء الشخصيات داخل المتن الحكائي :

الشخصيات هنا كانت خيالية من ذهن الشاعر محمد خضير وكانت تحمل دلالات تزيد من أهمية الحكاية وتعطيها طابعاً مميزاً ، ويمكن أن نصنفها في :

	الشخصية المرجعية	الشخصية التخيلية	الشخصية الرؤيوية العجائبية
الدلالة	مكتمل الدلالة	فارغ من الدلالة	دلالة خيالية مفتوحة
التركيز	يركز على الشخصية	يركز على الفعل الواقعي	يركز على الفعل الخيالي
خيال	مقيد بالفعل	مقيد بالفعل	حر (عطار الأشواق) (الجنس الأول) الجنس الثاني) (الجنس الثالث)
المعرفة	اسمٌ معروف	اسم مبهم (الجنس النادر)	اسم مبهم
الإشارة	لايتضمن الإشارة	يتضمن إشارة توضيحية	يتضمن إشارة توضيحية
التوقع	متوقع السلوك	غير متوقع السلوك (الجنس النادر)	غير متوقع السلوك (المرأة السوداء في الحكاية) فتاة الجنس الثالث

أما إذا تناولنا الشخصيات على مستوى البنيات الصغرى للشخصية ماهية الشخصية العاملة حسب نظرية غريماس ويشتمل الثنائيات :

١- المرسل والمرسل إليه (علاقة تواصل) .

٢- الفاعل (الذات) والموضوع (علاقة رغبة) .

---

٣٨ - المصدر نفسه : ٦٨ .

٣٩ - المصدر نفسه : ٦٨ .

٤٠ - المصدر نفسه : ٦٨ .

٣- المساعد والمعارض (علاقة الصراع) .

٤- الحافز ، المهيمنة .

الخاتمة

اهم ماتوصل اليه البحث من نتائج :

١- تعد قصة (داما –دامي – دامو) معبرة عن الواقع ومتخذة من الخيال والرمز السيميائي اداة لرصد عمق الواقع

٢- عنوان القصة قد وضح تقنية جديدة غير معهودة في طريقة الصياغة العنوانية فالعنوان قد تركب من ثلاث دوال مفصولة بالفاصلتين (،) التي تدل هنا على استغلال كل دالة عن التي تليها على مستوى البنية السطحية للعنوان فالدوال (**داما ، دامي ، دامو**) تتحرك قرائياً بصورة تتابعية وكأنها جراء تركيبها بهذه الصورة يراد لها أن تكون إشارات مباشرة تحيل إلى مراجعها خاصة بغياب الرابط النحوي عن هذه التركيبة العنوانية

٣- للمكان في قصة (داما – دامي – دامو) عدة اشكال من حيث ارتباطه بالجانب السياسي والاجتماعي والنفسي والايدلوجي اضافة الى ان المكان فيها قد شكل في بعض المواضع معادلا رمزيا للشخصية

٤- يعد اشتغال الموروث وتجسيد أسماء شخصيات معروفة جزءاً من قابلية قصة (**داما – دامي – دامو**) لمحمد خضير على الانفتاح فهي تجسد وتصور وتسجل القدرة على الإيحاء وهي بهذا تحقق قصد الإفادة من الموروث

٥- نلاحظ ان الشخصيات في هذه القصة كانت خيالية بحته ومن ذهن الشاعر محمد خضير وكانت تحمل دلالات تزيد من أهمية الحكاية وتعطيها طابعاً مميزاً

المصادر

١- القرآن الكريم .

٢- تطور الشعر العربي الحديث في العراق ، د. علي عباس علوان ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٥م

٣- ثريا النص مدخل إلى دراسة العنوان القصصي ، محمود عبد الوهاب ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٣٩٦ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٥ .

٤- دليل الناقد الأدبي ، سعد البازعي وميجان الرويلي ، المركز الثقافي في العربي ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٢م : ١٨٧ .

٥- رؤيا خريف ، مجموعة قصصية ، محمد خضير ، دار الأزمنة للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٩٥م

٦- السيميائيات مفاهيمها وتطبيقها سعيد بنكراد ، دار الحرية ، اللاذقية ، سوريا ، ط٢٠٠٥م : ١٥

٧- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، عرض وتقديم وترجمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الدار البيضاء .

٨- موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية ، ناظم عبد الواحد الجسور ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

الدوريات

١- خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم ، عبد الرحمن طنكول ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، عدد ٩ ، ١٩٨٧م

٢- السيموطيقيا والعنونة ، جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٥ ع ٣ ، ١٩٩٧م .

٣- شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ماهو الغارياق ، الهادي المطوي ، مجلة عالم الفكر ، مج ٢٨ ، عدد ١ ، ١٩٩٩م .

٤- النص وأبعاده ، قراءة في رواية كف مريم لعبد القادر عقيل ، حميد اجماع ، مجلة البحرين الثقافية ، عدد ٢٠ ، ١٩٩٩م .